عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

١ «لا عَدْوَى

٢ وَلا طِيَرَةَ،

٣ وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»(٢١٩).

(٢١٩) رواه البخاريُّ (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤).

آيات

- ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].
- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].
- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

الراوي

هو: أبو حمزةَ، أنسُ بنُ مالكِ بنِ النضرِ الأنصاريُّ، الإمامُ، المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، وآخر أصحابه بالبصرة موتًا، قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وهو ابنُ عَشْرٍ، ومات ﷺ وهو ابنُ عشرين، وغزا معه غَيْرَ مَرَّةٍ، وبايَع تحتَ الشجرة، تُوفِّي سنةَ: (٩٣هـ)(١).

خلاصة

يُصحِّح النبيُّ ﷺ اعتقاد أُمَّتِه مما لحق بها من الجاهلية، فيَذكر أنَّ الأمراض لا تُعدي بذاتها، وإنما يحدث ذلك بإرادة الله تعالى، ونهى عن التشاؤم من الأزمنة والأماكن والأشخاص، واستحبَّ أن يتفاءل الإنسانُ بالكلمة الطيبة يراها أو يسمعها.

(١) تراجع ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبيِّ (٤/ ٤١٧-٤٢٣)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٢٣١)، «معجم الصحابة» للبغويِّ (١/ ٤٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ١٥١-١٥٣).

أرسَل اللهُ سبحانه نبيَّه محمدًا ﷺ لدعوة الناس إلى عبادة التوحيد، وتخليصها مما يَشُوبها من أدران الجاهلية واعتقاداتها، وهذا الحديث يُنَبِّه على بعضها:

١ أخبر ﷺ أنَّه لا عدوى، والعَدْوى انتقال المرض من المريض إلى الصحيح عن طريق المخالَطة. وليس مقصود الحديث نفيَ وجودِ العدوى، وإنما المقصودُ أنه لا عدوى مؤثِّرة بنفسها وذاتِها وطَبْعها؛ وإنما التأثير بتقدير الله عزَّ وجلَّ، إنْ شاء انتقل الداء من المريض إلى الصحيح بالمخالَطة، وإن شاء لم يقع ذلك.

والمسلم مأمور بأخذ الأسباب النافعة وتركِ ما قد يؤدي به إلى الضرر؛ ولذلك أمر ﷺ بالأخذِ بأسباب النجاة والابتعاد عن المُصابين بالأمراض المُعْدِيَة، فقال ﷺ: «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كمَا تَفِرُّ مِن الأَسَدِ»(٢٢٠)، وقال ﷺ: «إذا سَمِعْتُمْ بالطَّاعُونِ بأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوها، وإذَا وَقَعَ بأَرْضٍ وأَنْتُم بها فلا تَخْرُجوا منها»(٢٢١).

٢ وأخبَر ﷺ أنَّه لا طِيَرة، **وهي التشاؤم بما يراهُ الإنسان أو يَسمعه؛ كأن يعزِم على السَّفر فيَرى غرابًا، أو يَسمع بحادثةٍ، أو بموتٍ، أو نحو ذلك؛ فيَتشاءم عن سفره ذلك ولا يسافر، وربما يسافر وهو مُرتابٌ شاكٌّ.**

وإنما سُمِّيت بذلك لأنَّ أهل الجاهلية كانوا يَتشاءمون من الطَّير؛ فإذا أرادوا سفرًا أو نحوه أتَوا بطيرٍ فزجَروه، فإنْ طار جهةَ اليمين تفاءلوا وسافروا، وإن طار يسارًا تشاءموا وقَعدوا، وكانوا يتشاءمون من طيورٍ معيَّنة؛ كالبُومة والغراب؛ فإذا نَعِق الغراب فوق بيتٍ زعموا أنه نذيرُ موته فتَشاءموا بذلك، ولهذا قال ﷺ: «لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ»(٢٢٢). والهامةُ هي ذلك الطائر الذي يتشاءمون به، وصَفَر الشهر المعروف الذي بعد شهر المحرم؛ كانوا يتشاءمون به أيضًا.

فأخبر ﷺ أنَّه لا أثر للتشاؤم بالأزمنة والأماكن والأشياء والأشخاص، وأنَّ التطيُّر يناقِض التوحيد الذي مقتضاه أنَّ النفعَ والضُّرَّ بيد الله تعالى وحده، ولا يَعلمُ الغيبَ إلا اللهُ تعالى، ولهذا قال ﷺ: «مَن رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِن حاجَةٍ، فقَدْ أَشْرَكَ»، قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما كَفَّارَةُ ذلكَ؟ قال: «أنْ يقولَ أحَدُهُم: اللَّهُمَّ لا خيْرَ إلَّا خَيْرُكَ، ولا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، ولا إلَهَ غَيْرُكَ»(٢٢٣).

---

(٢٢٠) رواه البخاري (٥٧٠٧).

(٢٢١) رواه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨).

(٢٢٢) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢٢٣) رواه أحمد (٧٠٤٥).

٣ ثم أخبر ﷺ أنَّه يُحبُّ الفأل الحسن، **وهو الكلمة الطيِّبة يسمعها الرجلُ فيُسَرُّ بها، كأن يَعمل رجلٌ فيسمع شخصًا ينادي أخاه: يا مُوَفَّق**، ونحو ذلك.

فالكلمة الطيِّبة تَسُرُّ النَّفسَ وتَشرَح الصدرَ وتبعث النشاطَ في الإنسان، ولذلك أعجبه ﷺ التفاؤل؛ إذ لا يُناقضُ التوحيد ولا يُضعِف الإيمانَ في القلب.

ولهذا لمَّا جاء سهيلُ بنُ عمرٍو إلى النبيِّ ﷺ يوم الحُدَيبية ليفاوضه في الصُّلْح، استبشر النبيُّ ﷺ وقال: «قَدْ سَهُلَ أمْرُكُم»[٢٢٤].

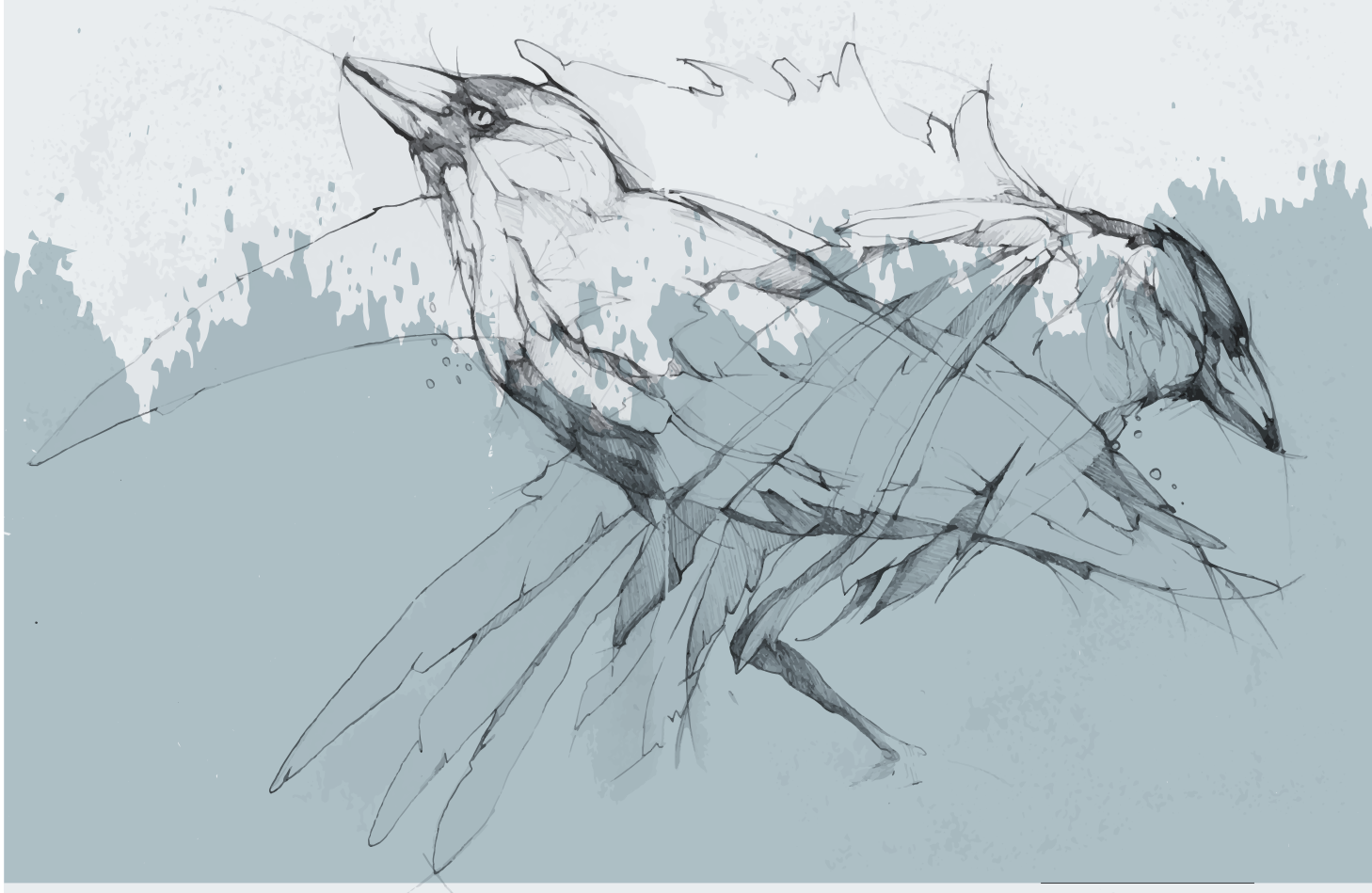

(٢٢٤) ينظر: «إمتاع الأسماع» للمقريزي (١٢/ ١٧٥)، «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (٥/ ٤٨).

اتّباعي

١ الأمورُ كلُّها تجري بمقادير ، وليس على المرء سوى العمل والتوكُّل على الله تعالى والأخذ بالأسباب .

٢ الأخذُ بالأسبابِ التي تَقي الإنسانَ الأمراضَ واجبٌ ، ولا يتعارض مع اليقين بالله وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ؛ فعلى المسلم أن يؤدي ما عليه ، والأمرُ أولًا وآخرًا بيدِ الله تعالى وحده .

٣ على المسلِم أن يحسِن الظنَّ بربه في الأمور كلها ، وأن يعلم أن الله لم يقدِّر له إلا الخير .

٤ على المسلم ألا يُثْنِي عزمه عن طلب الخير شيءٌ ولا أحد ، ما دام أنه صادق التوكل على الله .

٥ إذا كانت الأمورُ بقدرٍ، ولا تأثيرَ لشيءٍ إلا بعد إذن الله تعالى، فلِمَ التشاؤم والتطيُّر بالأشياء والحيوانات والكلمات؟! لا شكَّ أنَّ التشاؤم يخالف مقتضى التسليم لله تعالى والإيمان بقضائه وقدره.

٦ التشاؤم شرٌّ يُمرِض القلبَ ويصدُّ الإنسانُ عن مقصده، وإنْ لم يصدَّه عنه جعله مرتبكًا مضطربًا لا يطمئن باله إلى أنَّه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له.

٧ على المسلم أن يتفاءل بكلِّ ما يراه حوله مما يدعوه إلى العمل والهِمَّة، فالتفاؤل لا يدفع القَدَرَ، وإنَّما يُريحُ النَّفسَ ويطيب القلب ويبعث على النشاط، وقد كان النبي ﷺ يعجبه التفاؤل.

قال حافظ الحكمي رحمه الله:

فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ ... والكُلُّ في أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَرْ
لا نَوْءَ لا عَدْوَى ولا طِيَرَ وَلا ... عَمَّا قَضَى الله تَعَالى حِوَلا
لا غَوْلَ لا هَامَةَ لا ولاصَفَرْ ... كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَرْ